ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 06، العدد: 02 (2021) ص: 224 – 232

الالتباسات المفاهيمية للأدب الالكتروني في المنجز الجامعي الجزائري

Conceptual confusion of electronic literature within Algerian academic publication

مصطفى بوجملين

جامعة أم البواقي – الجزائر –

safosafio@hotmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2021 /05 /16
تاريخ القبول:
2021 /06 /26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الأدب الالكتروني
- ✓ الأدب البصري
- ✓ الرقمنة
- ✓ النص التفاعلي

الملخص:

نسعىمن خلال هذه الورقة العلمية إلى تقصّى معالم الأدب الالكتروني واستشكالاته المفاهيمية والمصطلحية في المنجزات البحثية الأكاديمية الجزائرية، وذلك بهدف إبراز زوايا الرؤى النقدية المخصوصة له والكشف عن ميكانيزمات بناء هذا الصنف الأدبي ضمن هذه الخطابات النقدية؛ ذاك أنّنا خلصنا إلى تباين أطروحاتها على مستوى تعاريفه وبناءاته الشكلية وكذا تأكيدها على مبدأ انفتاح قراءات هذا النصّ الالكتروني الجديد وتشعّبها.

Article info

Received *16/05/2021*

Accepted *26/06/2021*

Keywords:

- ✓ *Electronic literature*
- ✓ *Visual literature*
- ✓ *Digitization*
- ✓ *Interactive text*

Abstract :

Through this scientific paper, we seek to investigate the features of electronic literature and its conceptual and terminological problems in Algerian academic research achievements, with the aim of highlighting the angles of critical visions specific to it and revealing the mechanisms of building this literary category within these critical discourses that we have concluded that its theses differed at the level of its definitions and formal constructions As well as its emphasis on the principle of openness and bifurcation of the readings of this new electronic text.

مقدمة

شكّلت شعارات التجديد والعصرنة والرقمنة حدثا مهما على الصعيد الأدبي والنقدي العربي معا، ذاك أنّها تهدف إلى تشييد معمارية جمالية تسمها طقوس شكلية مندمجة مع العالم التكنولوجي بشتى تقنياته البرمجية وأدواته الحاسوبية المترابطة شبكيا.

ولا مشاحة – ههنا – أن تجد الأقلام النقدية العربية فسحة كبرى لمعاينة ومساءلة النصوص الإبداعية المرقمنة وذلك بهدف بناء خطابات نقدية جديدة تضاف إلى الرصيد البحثي الذي خصّ للأعمال الأدبية الورقية التقليدية – في منظور بعضهم–؛ وهذا ما أكّدته المتون النقدية العربية الرائدة في هذا المجال؛ والتي تنوعّت أشكال تعاطيها مع المسّميات الاصطلاحية له، وكذا طرقها لجوانبه النظرية والجمالية العديدة والمتشابكة؛ وذلك نظرا لارتباط هذا النموذج الأدبي العصراني بالشاشة الحاسوبية، والروابط الشبكية الالكترونية.

2. الأدب الرقمي بين إشكالية المصطلح وخصوصية المبدع لـ (سومية معمري)

سعت الباحثة (سومية معمري) عبر هذا العنوان البحثي إلى طرق قضية (الأدب الرقمي)؛ والتي أفرزت سجالات نقدية عدّة؛ وذلك باعتبارها حدثا أدبيا جديدا وملتبسا في الآن ذاته.

وقبل أن ندلف إلى المكاشفة النقدية العلمية للمشكلة المصطلحية التي اعترتهذا الأدب الجديد في نصّها البحثي، فإنّه كان لزاما الإفصاح عن فكرة مهمة صدّرتها الباحثة في تمهيدها؛ والتي مقتضاها تثبيت المبدأ الانفتاحي الذي وسم هذا اللون الأدبي الحداثي؛ إذ رأته متلازما مع فنّي الأنيميشن والجرافيكس، ومعقودا بتقنيات جمالية؛ كالصورة، والصوت والموسيقى، ومعتدّا بتقنية (البرمجية).

ولقد عالجت الباحثة التجاذبات النقدية الإشكالية حول المسمّيات المرادفة والمعادلة للأدب الرقمي وذلك عبر ركونها إلى كتابات نقدية عربية رائدة في هذا الموضوع الأدبي الحداثي؛ وذلك من مثل: (الأدب الرقمي لـ: زهور كرام) (مدخل إلى الأدب التفاعلي لـ: فاطمة البريكي)، (النص المترابط لـ: سعيد يقطين) (مدخل إلى الأدب التفاعلي لـ: عمر الزرفاوي).

ولا مشاحة في أنّ معاينتنا إلى جملة الاقتباسات المعرفية المثبتة في بحثها النقدي قد جعلتنا نقف أمام متاهات نقدية شتّى ذاك أنّ معظم الاستشهادات المنقولة عن الكتابات الآنفة الذكر لا تثبت عند المقترح المصطلحي الواحد؛ إذ تشي بعض ملفوظاتها ببدائل مصطلحية أخرى؛ ومن أمثلة ذلك مقولة (سعيد يقطين)، والتي أحالت إلى مصطلح (النصّ الحاسوبي) عبر مفردة (الحاسوب) –بالرغم من مراهنته على مسمّى النصّ المترابط عبر عنوانه البحثي المخصّص لهذا الأدبي الحداثي– وهذا ما أبان عنه قوله الواصف لهذا اللون الأدبي الجديد "لا يتخلّق إبداعا وتلقيّا إلا من خلال الحاسوب الذي تحقّق نتيجة التطور الحاصل على مستوى تكنولوجيا الإعلام والاتصال" (يقطين، 2008، صفحة 19). وأمّا المثال الآخر فهو متعلّق بالباحثة (زهور كرام)، والتي لم تجد خلاصا من التسميات الرديفة لـ(الأدب الرقمي) وهي المسألة الشائكة المحمومة التي ظلّت منفتحة نقديا فلا مجال لاحتكار مصطلح دون سواه، أو القول ببطلان بعض المصطلحات المقترحة من لدن الباحثين؛ فقد ألفيناها مستجلبة مصطلحي (المترابط/التفاعلي) باعتبارهما مرادفين لمسمّى (الرقمي)، ونصّ قولها الآتي: "الأدب الرقمي أو المترابط أو التفاعلي الذي يتمّ في علاقة وظيفية مع التكنولوجيا الحديثة، لا شكّ أنّه يقترح رؤى جديدة في إدراك العالم" (كرام، 2009، صفحة 22).

ولم تكتف الباحثة (سومية معمري) بالكشف عن هذه المصطلحات الإشكاليةلهذا الأدب المعقود بالتقنية التكنولوجية؛ بل نوّهت إلى مصطلح آخر متضايف معها والمتمثّل في المصطلح المعرّب (السيبرنيطيقي) –أو الشبكي–؛ والمتعلّق أساسا بتقنية الوسائط؛ إذ نلفيها

قائلة: "النصّ السيبرنيطيقي هو النصّ الأدبي، الذي يعالج تقنيا باستخدام الوسائط المختلفة والتي تتحكّم في تركيبته. علما أنّ الإطار الذي بلوره العالم التقني التكنولوجي بوصفه حاملا الكترونيا يكشف عن جملة أخرى من المفاهيم؛ كالوسائط المتعدّدة، والروابط المتشعّبة والفضاء الالكتروني" (معمري، 2016، صفحة 543).

وبناء على هذه الالتباسات المصطلحية حول مسمّى هذا الأدب، فإنّنا نجد الباحثة مقترحة المصطلح الأنسب –وفق منظورها–، والمتمثّل في (الأدب الرقمي)، حيث تقول: "وفي خضم هذا التشعب المصطلحي الحاصل فإنّنا نرى تبنّي مصطلح "الأدب الرقمي" إيمانا منّا بأنّه الأقدر على حمل تلك الخصوصية التي تميّز هذا النوع من الكتابة التي تعتمد على اللغة الرقمية، وهي اللغة الخاصة بالبرمجيات الحاسوبية والتي ينبني بواسطتها النصّ الرقمي" (معمري، 2016، صفحة 543).

وعلى الرغم من هذا الإقرار باجتراح مسمّى الرقمي بديلا عن المسمّيات الأخرى الرديفة له، فإنّنا نلفيها متوافقة مع مصطلح (الأدب الحاسوبي)؛ ذاك أنّها أقرّت باستخدامه لغة البرمجية الحاسوبية؛ وبالتالي، فإنّ مؤشر ثباتها عند المصطلح الواحد كان غائبا ومنعدما وفق هذا المعطى النقدي السابق.

ولقد أقدمت الباحثة كذلك على الكشف عن نمطين من الأدب الرقمي وهما: (القصيدة التفاعلية/الرواية الرقمية)؛ إذ حرصت على تثبيت علائقيتهما بالوسيط الالكتروني والتنويه إلى مسألة اعتمادهما على الصوت والصورة كدعامتين جماليتين أساستين لهما.

ولقد ظلّ المنزلق المصطلحي واقعة نقدية شائكة في هذا العنصر البحثي؛ ذاك أنّ توظيفها للمصطلح المركّب (القصيدة التفاعلية) لم يسلم من الإزاحة والاستبدال، إذ نراها مجترحة لمصطلحي (القصيدة الرقمية/القصيدة الالكترونية).

وممّا سبق، فإنّنا نخلص إلى أن الأطروحات النقدية المتشعبة والمضطربة في هذا العمل البحثي لم تخلص إلى إنهاء الخلاف النقدي حول مسمّيات الأدب الرقمي؛ بل أبقت الباحثة مسألته المصطلحية المتنازع حولها؛ فلم نقف عند التبنّي المصطلحي الواحد، ولم نجد المحاججة العلمية بالبراهين العلمية والنقدية للمسمّى التوافقي النهائي والمجمع عليه.

3. الأدب الالكتروني وسجالات النقد المعاصر لـ (فايزة يخلف)

لا غرو في أنّ القضية العلمية الأساسة في هذا المقال البحثي تتلخص في بيان درجة التميّز للعمل الأدبي المدمج بالتقنية التكنولوجية الرقمية؛ حيث استشهدت الباحثة بتجارب أدبية ناجحة –في منظورها– لبعض المبدعين في هذا المجال من الكتابة الالكترونية الرقمية؛ فقد استغنوا عن هندسة العمل الأدبي في ضوء الكينونة الورقية الخطية، واستبدلوها بطرق حداثية تقوم على العناصر التكنولوجيا التفاعلية؛ ذاك أنّ الفعل القرائي أضحى متزايدا ومتناميا حينما نقلت النصوص الأدبية عبر الوسيط الشبكي؛ ولقد اعتبرت هذا التحوّل الأداتي شكلا حضاريا بامتياز؛ وهذا ما أفصحت عنه بقولها: "علاقة الأدب بالتكنولوجيا لا يمكن معها إنكار التأثيرات الملحوظة على الأدب جراء ما يمنحه عصر المعلومات من آليات تثري العملية الإبداعية وتضاف إليها القراءات النقدية المواكبة لجدل العلاقة السابقة لنبقى أمام الأدب والتكنولوجيا والنقد بوصفها شبكة متداخلة تداخلا يصدر روح الحضارة الآنية وتجلياتها" (يخلف، 2013، صفحة 109).

ولقد تكرّرت إشادتها بهذا الأدب الالكتروني –على حدّ تسميتها له– في سياق نصّي آخر؛ حيث رأته فعالية جديدة تقرّب المعالم الجمالية الإبداعية للمتلقي بشكل يسير ومؤثّر؛ وذلك خلافا للنصوص الورقية التقليدية المحدثة للفجوة بين طرفي العملية الإبداعية (المبدع/المتلقي)؛ وهذا ما يؤكّد –ضمنيا– انسياقها مع الأطروحة المتقبّلة لهذا الأدب التكنولوجي الحداثي؛ حيث تقول: "وقد أدرك كثير من

المبدعين هذا الأمر، وشعروا بالحجم الحقيقي للفجوة الحاصلة بينهم وبين المتلقي، ورأوا أنّهم يتحدّثون في واد، والمتلقي في واد آخرلذلك أصرّ بعض المبدعين على اللجوء إلى الطرق التي من شأنها تقليص هذه الفجوة، ومدّ جسور التواصل مجدّدا بينهم وبين المتلقي وهو الأمر الذي يحتاج اليوم إلى توافر الكثير من عناصر الجذب واللمسات الفنّية في النصّ الأدبي كي يقبل عليه فكان توظيف التكنولوجيا هو أفضل طريقة لجذب المتلقي المعاصر، شديد الألفة بها، والتكيّف معها" (يخلف، 2013، صفحة 108).

وفيما يخصّ بالمشكلة المصطلحية المتعلّقة بهذا الأدب الرقمي، فإنّنا ألفينا الباحثة (فايزة يخلف) موظّفة لعدّة مسمّيات له؛ إذ لم تثبت عند الملفوظ المصطلحي المركزي والذي جعلته في واجهة عنوانها المركزي لهذه المقالة (الأدب الالكتروني) حيث وقفنا عند مرادفاته المتعاضدة معه وذلك من قبيل: (التفاعلي/الافتراضي/الرقمي)؛ فأمّا توظيفها لمفردة (التفاعلي) فقد ورد ذكرها في قولها: "يمكننا، إلى حدّ ما، وبقدر معقول من التجاوز في تعريف المفاهيم، اعتبار هذا "الأدب التفاعلي" الكترنة أداتية لتعويض تغييب الأداة الحكواتية أو الحداثية في نقل النصّ" (يخلف، 2013، صفحة 101)؛ وأمّا ذكرها لملفوظي (الافتراضي/الرقمي)، فقد اجتمعتا في مقولتها التالية: "هوية الأدب الالكتروني بهذا المعنى، تكمن في المزج بين الواقعي والافتراضي والرقمي" (يخلف، 2013، صفحة 101).

وممّا سبق، فإنّنا نخلص إلى أنّ الباحثة قد ساهمت في إضاءة بعض القضايا الشائكة لهذا الأدب الرقمي وخاصة في تأكيدها على أهمية العنصر التفاعلي بين القارئ والنصّ الإبداعي الموظّف للتقنيات البصرية والسمعية. وكذا تنويهها للحظوة التي اعتلاها العمل الأدبي بعد تصيير شكله الخطي التقليدي وتطويره عبر عناصر تقنية تستقرء مضمونيا عبر الروابط الشبكية.

4. إشكالية الأدب الرقمي: قراءة في الوسائط التواصلية لـ (طارق زيناي)

طرحت هذه المقالة العلمية قضايا مهمة مخصوصة للأدب الرقمي؛ ولعلّ ما يميّزها هو اقتباساتها العديدة للأطروحات المعرفية والمصطلحية المتعلقة بهذا الأدب التكنولوجي الحداثي؛ وخاصة اتّكاؤها على العمل النقدي المهم، والذي أنجزته الناقدة (فاطمة البريكي) والموسوم بـ (مدخل إلى الأدب التفاعلي)؛ وذلك دون بسط لتعليقات وتقويمات للأفكار العلمية والتقنية فيه.

ويجدر التنويه إلى أنّ الباحث قد عمّق الإشكالية المصطلحية المخصوصة للأدب الرقمي؛ ذاك أنّه أبان عن تخريجات مسمّياتية مبتكرة له؛ والتي وصل تعدادها إلى عشرة مصطلحات. ولكنّ العلامة النقدية –ههنا– هي تأكيده على العلائقية بينها، ونأيه عن إقصاء بعضها ذاك أنّها تجتمع مفهوميا داخل الفضاء التكنولوجي وهذا ما أفصح عنه بقوله: "لا بدّ أن نشير بداية إلى أنّ هذا المصطلح قد طاله ما طال غيره من المصطلحات المعرّبة من تعدّد المصطلحات، وبالتالي تعدّد المفاهيم وإن كانت –في مجموعها– لها وشائج متينة بعضها ببعض فالمطّلع على الدراسات التي تناولت الأدب الرقمي يجدها تستعمل للدلالة على المصطلح السابق تسميات من مثل: الأدب التفاعلي الأدب السمعي والبصري، الأدب الديجيتالي، الأدب الالكتروني، الأدب الحاسوبي الأدب اللوغاريتمي، الأدب المترابط، والمتشعّب والفائق والمفرع وغيرها" (زيناي، 2017، الصفحات 268-269).

وفي ضوء هاته الجلبة المصطلحية فإنّنا وقفنا عند رؤية تعليقية للباحث؛ وذلك في معرض دفاعه عن مسمّى (الأدب الرقمي)؛ والذي رآه أقرب للصواب من مسمّى (الأدب التفاعلي) –باعتباره ملفوظا مصطلحيا مزاحما له–؛ إذ نلفيه قائلا في هذا الصدد: "ولعلّ اختيار تسمية الأدب الرقمي هي الأقرب إلى الصواب، بحكم طبيعته ذات المنزع الرياضي واللوغاريتمي المرتبط بالأرقام الثنائية، وهي بهذا لها ارتباط واضح بالوسيط الإعلامي، وإن كانت تسمية التفاعلي لا تقلّ مقبولية عن تسمية الأدب الرقمي، بحكم التفاعل الداخلي (العلاقة

بين الروابط النصّية والوسائط التواصلية المختلفة)، والتفاعل الخارجي (أطراف العملية الإبداعية) (...) والأدب الرقمي كتجلّ تقني عالّ لا يخرج عن هذه الدائرة بوصفه يتشكّل كوسيط تواصلي بين المرسل والمرسل إليه" (زيناي، 2017، صفحة 269).

وفي سياق تقصّي الباحث عن الملفوظات المصطلحية المتشابكة مع مسمّى (الأدب الرقمي)، فإنّنا وجدناه آخذا بالتباين التعريفي الذي ساقته (فاطمة البريكي) لبعض المصطلحات المندرجة ضمن الفضاء التكنولوجي والمتمثّلة في: (الأدب الرقمي/ الأدب السمعي البصري/الأدب التفاعلي)، وملخّص هذه التفاريق المفهومية بينها أنّ (الأدب الرقمي) هو ذلك الأدب المقدّم عبر شاشة الحاسوب "والذي يحمل طابعا لوغاريتميا منطقيا، والمرتبط بتراتبية الأعداد لنصّ معيّن مخصوص؛ والتي ستحدث اللا انتظام في الحروف والكلمات والجمل حال تغيّرها وتبدّلها. بينما تميّز ما أسمته (الأدب السمعي البصري) بتلك المؤثرات الصوتية، والصورة، والرسوم والحركات، فهو نصّ مسموع ومشاهد. في حين أنّ ما أطلقت عليه بـ(الأدب التفاعلي) متعلّق بالمعطيات التكنولوجية الحديثة؛ وهذا الشكل الأدبي يعرض على المتلقي عبر الوسيط الالكتروني" (البريكي، 2007، صفحة 11).

ومن جهة أخرى، فإنّنا وجدناه مطلعا المتلقي بتلك المواصفات التي تسم الأدب الرقمي، بيد أنّه انساق خلف المصطلح الذي دافعت عنه (فاطمة البريكي)، والمتمثّل في (الأدب التفاعلي)؛ إذ أصبغته بنعوت عدّة، كان أبرزها التالي:

- يعرض (الأدب التفاعلي) نصّا مفتوحا، ولا نهائية لتأويله، ويظلّ معقودا بالفضاء الشبكي.
- النص التفاعلي لا يعترف بأحادية المبدع؛ إذ يظل المتلقي طرفا مشاركا ومعدّلا ومقوّما له.
- يتيح الأدب التفاعلي حيّز المحاورة والمساءلة الحيّة والمباشرة، وذلك عبر تقنية المواقع التي تعرض النصّ.
- الخاصية التفاعلية تظلّ بدرجات متباينة، وذلك يعزى لاختلاف الصور التي يقدّم بها النصّ نفسه للمتلقي (المستخدم).

واستمر الباحث في بيان الخصوصية التكنولوجية لهذا الشكل الأدبي الحداثي وذلك عبر تبيانه للخصائص والمميّزات التي تتعلّق بما يسمّى (الوسيط الإعلامي) والمتمثّلة في الملفوظات التقنيّة الأربعة التالية: (اللوغاريتمية–التوليدية– التفاعلية– الانتشارية والتغذية الراجعة) إذ خصّ كلا منها بالحدود التعريفية الخاصة بها، والتي يجمعها العالم الرقمي الحاسوبي المترابط.

وقد اختتمت المقالة بتوصيات ومقترحات جاءت على شكل تساؤلات مدارها الرؤية الجديدة للقيم الجمالية التي أفرزها العالم الأدبي الرقمي التكنولوجي، وكذا حيرته عن مصير الأدب الورقي الخطي في ظلّ هاته النقلة الحداثية الرهيبة في النموذج الجديد المقدّم للقارئ المعاصر.

5. الأدب الرقمي: مفاهيم ونماذج أوّلية لـ (خديجة باللودمو)

تطلّ علينا الباحثة (خديجة باللودمو) بإضاءات معرفية ونقدية خصّت للنموذج الأدبي المستحدث في الساحة الأدبية المعاصرة (الأدب الرقمي)؛ إذ راهنت على تكريس فكرة الأخذ بزمام التجديد الإبداعي العصراني، وذلك في ظلّ التطور التكنولوجي، والتحرّر من الطابع الاستهلاكي –كما أسمته– للشكل الأدبي التقليدي الكلاسيكي؛ حيث برّرت هذا التوجّه المغاير عبر قولها:"إنّ الذهنية العربيةمطالبة في هذا العصر بكسر قيودها العتيدة والتحرّر من أوهامها ومعتقداتها التي لا تستند على مبرّرات معقولة؛ نحن العرب أمام فرصة حقيقية يتيحها لنا عصر المعلومات حتى نعود مجدّدا إلى الواجهة فالطابع الاستهلاكي الذي هيمن على كتاباتنا منذ طويلة والتلقي السلبي والأفكار السلبية من قبيل الأفكار الجاهزة والقوالب الفكرية الجامدة قد تزعزع، وصار من الضروري علينا أن نجدّد آلياتنا ونهيّئها لاستقبال

نماذج جديدة وإنتاج ما يعبّر عن صوتنا العربي وثقافتنا وهويّتنا؛ هذا العصر الرقمي الذي استطاع أن يعيد تأطير وتنظيم العملية الإبداعية ويجعل من عملية إنتاج نص رقمي عملية توليفية إبداعية" (باللودمو، 2016، صفحة 138).

وفي معرض دفاعها المشروع عن نموذج الكتابة التكنولوجية الرقمية، فإنّنا نجدها معتدّة بفكرة اللامحدودية أو اللانهائية داخل فضائها المتشابك شكليا، والمترابط دلاليا، والتي تنأى عن الخطية والتراتبية المعهودة في النصّ التقليدي إذ تقولفي هذا الصدد: "ليس النص نقاطا متتابعة أو سلسلة منطقيّة متلاحقة تفرض على متلقّيه نهجا معيّنا لقراءاتها؛ إنّما هو شبكة –بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالة– متفرّعة متداخلة متشابكة. وهذا هو الطرح الجديد الذي جاء به النص الرقمي؛ إذ إنّه لا يعترف بالخطّية ولا بالبدايات، وبالمقابل فهو لا ينحصر في نهايات محدّدة سلفا من لدن الكاتب" (باللودمو، 2016، صفحة 140).

وفي سياق تأصيلها لإرهاصات هذا الأدب الرقمي التكنولوجي فإنّنا ألفيناها مستشهدة بأطروحة (سعيد يقطين)، والتي فحواها إشارته إلى الدراسة العلمية التي أنجزها الباحث (فانيفار بوش)، والتي عنونها بـ(كما يمكن أن تفكّر)، إذ حملت قضايا علمية في الشأن الحاسوبي وخاصة في مسألة استدعاء النصوص وترابطيتها الكترونيا؛ إذ يقول في هذا الشأن: "إذا أردنا أن نطّلع على الأفكار الأولى التي كانت بمثابة إرهاصات للأدب التفاعلي والنصّ المترابط، فيمكن أن نرجع إلى سنة 1945 لنجد دراسة فانيفار بوش، وهو رائد في الإعلاميات والحساب الآلي، بعنوان (كما يمكن أن تفكّر)، والتي خصّصها لدراسة طريقة جديدة لاستثمار المعلومات وكيفية تخزين الوثائق والنصوص كيفما كانت واستدعائها بطريقة سهلة وسريعة بواسطة ربطها ببعضها البعض، فاخترع نظاما أسماه (**Memex**)؛ وهو عبارة عن أداة لتخزين المواد والنصوص مع إمكانية ربطها آليا مستحدثا مفهومين جديدين هما (العقدة) و(الرابط). كلّ هذه الأفكار بدأت تمهّد لأسلوب جديد هو الربط بين المعطيات الالكترونية ليتمّ استدعاؤها بأبسط طريقة وأسهلها" (باللودمو، 2016، الصفحات 142–143).

ومن جهة أخرى، تلحّ الباحثة (خديجة باللودمو) على ضرورة المعاينة النقدية للمتن الأدبي الرقمي عبر الاستناد إلى الدلالات والمضامين المكتنزة في النص الورقي الخطي الأصلي؛ وبالتالي فإنّ الممارسة القرائية النقدية ستكون وفق هذا المعطى التكاملي شاملة ومحيطة بالمدارات الدلالية والجمالية للنصّين معا؛ وهذا ما يفهم من قولها: "التجربة الالكترونية وإن كانت جديدة في معظم جوانبها إلا أنّ نتاجها –أقصد هذا العمل الإبداعي– يأخذ من التجارب الإبداعية في مراحل سبقت هذه المرحلة. لهذا نبّه سعيد يقطين على هذه الفكرة؛ في محاولة لتبرير تبشير النصّانيين –حسب رأيه– بالنصّ المترابط. فالتفاعل كان بين النصوص سلفا، لكن بروابط ذهنية نستدعي من خلالها تجارب مناسبة تساهم في تحصيل المعنى وإنتاج الدلالة" (باللودمو، 2016، صفحة 141).

كما تنقلنا الباحثة إلى فكرة مهمة متعلّقة بهذا النوع الأدبي التكنولوجي (الأدب التفاعلي)، والتي تتمحور أساسا حول لا نهائية القراءة التأويلية للمتن الرقمي وذلك نظرا لإغراءاته الجمالية داخل الفضاء الشبكي الترابطي، وهذا ما لخّصه قولها: "الأدب التفاعلي في أبسط تجلّياته هو الابن الشرعي لعلاقة الأدب بالتكنولوجيا، فقد استفاد من خدماتها المختلفة خاصة تلك المتعلّقة بالوسائط المتعدّدة التي جعلت من العمل الأدبي مغريا وأضافت له العديد من المعطيات التي فجّرت مكنوناته وجعلت متلقّيه يبحر فيه ويتبحّر في ضواحيه" (باللودمو، 2016، صفحة 140).

ولا غرو في أن نجدها مسترسلة في إجلاء الفكرة المحورية السابقة؛ إذ أضافت إلى قضية النهاية المفتوحة لهذا المتن الرقمي المستحدث مرتكزا آخر، والمتمثّل في عدم وجود سياج قرائي تقييدي للمضامين الاستهلالية فيه؛ إذ نلفيها قائلة:"إذا كانت النهاية مفتوحة في هذا النوع من الأدب فإنّ البداية أيضا غير مقيّدة فللمتلقي أن يختار نقطة انطلاقه في تعامله مع نصّه وبطبيعة الحال تعدّد البدايات يؤدّي

بالضرورة إلى تنوّع سيرورة الأحداث، وهنا يفتح باب الحوار بين متلقي العمل الأدبي من خلال تعاملهم مع النصّ وتدخّلهم في مجرياته" (باللودمو، 2016، صفحة 142).

كما نجدها آخذة بمقولة (فاطمة البريكي) المخصوصة للعوامل الواجب توفرها لتتمّة الفجوات النصّية، ولتكملة الدلالات الغائبةفي العمل الفني الرقمي التفاعلي، والتي نصّها التالي: "العمل التفاعلي بطرائق تقديمه المختلفة للقارئ ليس نصّا مكتملا؛ بل إنّ كل قارئ يحاول أن يكمله بطريقته الخاصة ويتحكّم في ذلك عوامل كثيرة منها: رؤيته الفكرية للقضية التي يدور حولها العمل، ومزاجه الشخصي وتعاطفه مع الشخصيات. أمّا النصوص التي تقدّم نهايات مختلفة بناء على اختيار القارئ فهي أيضا غير مكتملة بالمعنى الحرفي لكلمة "الاكتمال" لأنّ النهاية تنتظر من القارئ أن يحدّدها" (باللودمو، 2016، صفحة 142).

وفي سياق نصّي آخر نوّهت الباحثة إلى قضية مهمة تنضوي تحت مظلّة التوافق والتعالق بين النموذجين الأدبيين (الخطاب التقليدي/الخطاب الالكتروني)؛ إذ استشهدت بمقولة نقدية ضمّنها مقال الباحث (يحي بوتردين)، والموسومة بـ(تحليل الخطاب الفائق: من الشفوية إلى التواصل الالكتروني)؛ والتي أبانت عن أصول ما أسموه (الارتباط التشعّبي الشبكي) في الخطاب الأدبي الخطي التقليدي والمتمثّل في خاصية (التناص)؛ حيث نلفيه قائلا: "أمّا بالنسبة لمرجعيته في الثقافة الغربية–باعتبارها مهد الخطاب الالكتروني–، فبالإمكان ملاحظة أنّ هناك من النقاد واللسانيين من تحدّثوا عن التناص كخاصية للخطاب اللغوي التقليدي، وهو ما نجده مجسّدا من خلال عنصر الارتباط الذي هو خاصية للخطاب الفائق؛ لأنّ خاصية الارتباط التشعّبي في شبكة الانترنت أو في الأقراص المدمجة، والتي بفضلها تتمفصل جزئيات الخطاب الفائق ببعضها، ممّا يحدث ما يشبه التناص بين هذه النصوص والمواقع والوثائق المتنوّعة والمتعدّدة، والتي بفضلها أيضا سمّي هذا النوع من الخطاب خطابا مرفّلا؛ أي متعدّد الوسائط" (باللودمو، 2016، صفحة 137).

وتحسن الإشارة إلى أنّ المقولة الآنفة الذكر قد حملت إشكالا مصطلحيا يلوح بأزمة ومعظلة قلقة؛ وهذا ما عبّرت عنه الملفوظات المصطلحية المرادفة لما أطلق عليه الخطاب الفائق؛ إذ تزاحمت مع مفردة (الفائق) عدّة بدائل معادلة له، وهي: (التشعّبي– المرفّل– الوسائطي)، والتي هي بحاجة إلى قراءات نقدية متبصّرة وعميقة في حدودها المسمّياتية، وأطرها المفهومية الضابطة لها.

6. النص الرقمي في الأدب العربي من الورقية إلى الرقمنة: وجه آخر لما بعد الحداثة لـ (حسين دحو)

استهلّ الباحث (حسين دحو) مقالته البحثية بأطروحة نقدية مهمة تتعلّق بالتحوّل النصّي الأدبي في الصرح الإبداعي المعاصر؛ والذي أنتج ما يعرف بالنصّ الرقمي وكذا إشارته إلى قضية انفلات هذا الشكل الفنّي عن قيود الملكية الأحادية له من لدن المبدع؛ ذاك أنّه يظلّ خاضعا لسلطة المتلقين باعتبارهم طرفا مشاركا بشكل أساس في إنتاجيته؛ فلم يعدّ المبدع مالكا لزمام القراءة المغلقة لعمله؛ بل هناك انفتاح قرائي تكاملي يقصي فكرة السلطة الواحدة المهيمنة. وهذا ما عبّرت عنه مقولته التالية: "من بين قضايا ما بعد الحداثة التي مسّت جوهر مفهوم النص الأدبي وخصوصيته؛ قضية النص التفاعلي والترابطي، ولن نعتبر عدول النص الأدبي وانحرافه عن شكله النمطي ظاهرة أسلوبية فريدة، بل نخاله مطلبا حيويا يجرّد النص الأدبي العربي من مفهوم الملكية الخاصة التي يتنازعها الكاتب بحق إنتاجه النص والقارئ بفرض سلطة بث الحياة في النص عبر قراءاته المختلفة له، وتبقى النصانية بينهما وبين خواص النصّ ذاته في شدّ وتجاذب لم ينتهيا إلا بتحوّل النصّ الأدبي إلى نصّ إلكتروني رقمي، تفاعلي وترابطي حسب اختلاف اصطلاحات التسمية هذا التحوّل الذي ألغى صكّ ملكية النصّ مصيّرا إيّاه ملكية جماعية تقصي مفهوم التفاضل بين أطراف العملية الأدبية الإبداعية وتدعو إلى تكاملها جميعا" (دحو، 2017، صفحة 106).

وفيما يتعلّق بالشق المصطلحي لهذا النصّ التكنولوجي الجديد؛ فإنّنا نجد الباحث –في المقولة النقدية السابقة– مضطربا في تخريجاته المسمّياتية؛ ذاك أنّه لم يثبت عند المصطلح المركزي الوارد ذكره في العنونة الكبرى لنصّه البحثي (النصّ الرقمي)؛ وذلك مع إقراره باختلاف الحدود المفاهيمية لهاته المنظومة المصطلحية المتضايفة مع الشكل الأدبي؛ وهي المسألة التي ستنتج تساؤلات إشكالية عن غياب الاستعمال المصطلحي المؤسس على خلفيات علمية وتقنية؛ وهذا ما دلّت عليه المصطلحات الأربعة المقترحة –السابقة الذكر–، وهي: (نصّ إلكتروني– نصّ رقمي– نصّ تفاعلي– نصّ ترابطي).

ويحسن القول في هذا الشأن المصطلحي المضطرب والضبابي أنّنا ألفينا الباحث (حسين دحو) –في سياق نصّي آخر– باسطا مقترحه المفضّل لديه؛ والمتمثّل تخصيصا في مصطلح (الرقمي)؛ والذي برهن عليه باقتضاب شديد، ولكن المعظلة الملاحظة عندنا هو إدراجه لتسمية أخرى متعاضدة معه (النصّ الفائق) –دون تبرير لحدّه المفهومي– إذ يقول في هذا الشأن: "بالعودة إلى مفهوم التفاعلية أو مصطلح التفاعلي موازاة مع الرقمي والرقمنة، ولعلّي أفضّل مصطلح الرقمي؛ لأنّه يعكس الجانب التقني المتعلّق بنوعية رقن الكتابة النصّية المتراوحة بين الترابط والتشعّب والتفرّع، وقد ظهرت أيضا عبارة اصطلاحية أخرى عبّرت عن مظهر الكتابة الأدبية الرقمية بمسمّى النصّ الفائق" (دحو، 2017، صفحة 110).

وفي سياق المقارنة بين هويّة النصّين (الورقي/الرقمي)، فإنّنا وجدنا الباحث في منأى واضح عن مبدأ المفاضلة بين هذين النموذجين ذاك أنّه لا يعتبر اختلاف الوسيطين (الورقي/الالكتروني الحاسوبي) مدعاة لتميّزها أحدهما عن الآخر؛ لأنّ الطابع الجمالي رهين التكوثر القرائي التفاعلي مع البنيات الفنية الجمالية للأثر الأدبي، وكذا اندماج مثلث العملية الإبداعية التواصلية المتكاملة (المؤلف– النص القارئ) وهذا ما عبّر عنه قائلا: "النصّ المكتوب على الورق يبقى حبيس ورقه إن لم يوجّه نحو جمهور القراء؛ والحال نفسها، مع النصّ الرقمي الذي يمثّل الحاسوب بمختلف أنواعه حامله، هذا النصّ أيضا، إن لم يقرأ يبقى سجين وسيطه وفي كلتا الحالتين وباختلاف الوسائط لن تتحقّق للكتابة الهويّة النصّانية المتكاملة دون جمهور قارئ لها، فلا سبيل أراه ضروريا لعقد المقارنة بين النصّ الورقي والنصّ الالكتروني التفاعلي من أجل الانتصار لإبداعية أحدهما" (دحو، 2017، صفحة 110).

وقد اختتم الباحث مقالته بتأكيد وتثبيت لأطروحته النقدية السابقة؛ أي حثّه على الإقصاء الكلّي لمبدأ الموازنة والتفضيل بين هذين الصنفين الأدبيين (الورقي/الرقمي)، وقد أعلن عن ذلك بخطاب واضح صريح نصّه قوله: "ليس الأدب الرقمي العربي الذي تمّ إنتاجه على هذه الصورة، من شعراء وكتاب وروائيين، لعلّ من أبرزهم: مُحَمَّد سناجلة في النثر بروايتيه "شات وصقيع"، وعباس معن في الشعر بمجموعته "تباريح رقمية"، ليس إلا أدبا رقميا فرضته الضرورة العصرية ، وكذلك انفتاح الفرد العربي كاتبا منتجا وجمهورا قارئا على التقانة العالية زاد الأدب العربي رفعة وجمالا، ومن الخطأ العلمي الجسيم أن يعتقد البعض أنّ هذا النوع من الكتابة الأدبية يقصي الأدب الورقي بل هو صورة أخرى من صور تشكيل الكتابة الأدبية" (دحو، 2017، صفحة 111).

فهنا، نجده مؤكّدا على المرتكز التكاملي بين النصّين (الورقي/الرقمي)، ولا يمكن لأحدهما أن يرتفع قيميا عن الآخر فالتحوّل والتصيّر الشكلي المورفولوجي يملك مشروعية العصرنة والتحديث؛ ولكنّه لا يغيّب المضامين الهادفة المبثوثة في الشكلين معا. وبهذا تظلّ الرسالة المضمونية المدلولية المرتكز الجمالي الأسمى والأرفع عنده.

خاتمة

في ختام هاته المقاربة النقدية لجملة المقالات البحثية العلمية المعاينة للأدب الرقمي؛ سواء أتعلق الأمر بمنظومته المصطلحية المتشابكة والمضطربة، أو اختصّ بالمناظرة والمقارنة بين الشكل الأدبي التقليدي (الورقي)، أو النموذج الأدبي العصراني التكنولوجي(الرقمي) فإنّنا نخلص إلى نتائج علمية نعرضها وفق التالي:

– الرقمنة الأدبية مطلب حضاري، ومشروعية جمالية عصرانية لتجديد طرائق القراءة والتفاعل مع النصوص الإبداعية، المبتكرة لأدوات تصويرية وسمعية وترابطية تكنولوجية.

– الأطروحات النقدية العربية المتباينة في فضاء (الأدب الرقمي) تستدعي استنفارا نقديا موحّدا لفكّ الطلاسم المسمّياتية والمفهومية العديدة والشائكة لهذا النموذج الكتابي التكنولوجي.

– المبدأ التفاعلي لم يتفرّد به العمل الإبداعي الرقمي دون سواه؛ ذاك أنّه خاصية مبثوثة في النصّ الورقي الخطي كذلك؛ لأنّه ينبثق عبر انفتاحية القراءات النقدية ومن خلال تفعيل الروابط الذهنية.

– الرابط التشعّبي الشبكي في النموذج الرقمي يجد نظيره في النصّ الخطي الورقي والمتمثّل –تحديدا– في ميكانيزما التناص، وبهذا فإنّه لا يمكن البتّة الفصل النهائي بين هذين الشكلين، أو إقصاء العنصر العلائقي الترابطي بينهما.

وفيما يتعلّق بالمقترحات والتوصيات المتواشجة مع هذا الموضوع البحثي؛ فإنّها تتلخّص تحديدا في ضرورة تكثيف الدراسات البحثية الجماعية لهذا الأدب المستحدث، والنظر مليّا في حجم الممارسات الإبداعية ضمنه؛ وذلك بهدف الارتقاء بالأدب المشبع بالتقنية العصرية الهادفة لدى الأوساط المتلقية له.

قائمة المراجع والمصادر

1. البريكي، ف، (2007)، *مدخل إلى الأدب التفاعلي*، الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة.
2. باللودمو، خ ، (2016)، الأدب الرقمي: مفاهيم ونماذج أولية، *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها*، 8(10).
3. دحو، ح، (2017)، النص الرقمي في الأدب العربي من الورقية إلى الرقمنة: وجه آخر لما بعد الحداثة، *مجلة الأثر*، (29).
4. زيناي، ط، (2017)، إشكالية الأدب الرقمي: قراءة في الوسائط التواصلية، *مجلة مقاربات*،(30).
5. كرام، ز، (2009)، *الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية*، القاهرة، مصر: رؤية للنشر والتوزيع.
6. معمري، س، (2016)، الأدب الرقمي بين إشكالية المصطلح وخصوصية المبدع، *مجلة العلوم الإنسانية*، (46).
7. يخلف، ف، (2013)، الأدب الالكتروني وسجالات النقد المعاصر، *مجلة المخبر*، (9).
8. يقطين، س، (2008)، *النص المترابط :مستقبل الثقافة العربية نحو كتابة عربية رقمية*،الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.